



اللهم هيئ لمصر ولسائر بلاد المسلمين أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة، ويهدى فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.

ثار شباب مصر على أوضاع فساد وفقر ومظالم وأدت آمالهم وطموحاتهم في مستقبل مشرق يجدون فيه ذاتهم، ويشعرون من خلاله حاجاتهم. حقاً نجحت ثورة الشباب في الإطاحة بالقائد الأعلى للنظام المصري، ووضع قائمة بعض الفاسدين وناهبي ثروات البلاد قيد التحقيق، وتجميد الأرصدة، تمهدأً للمحاكمة ومصادرة الأرصدة.

وشاء الله - سبحانه وتعالى - أن يهلك الظالمين أنفسهم، فأصدر قادة الشرطة المصرية قراراً بالانسحاب من الساحة البوليسية أدى هذا القرار إلى انفراط عقد جهاز الأمن المصري الداخلي وبخاصة ما عرف بجهاز مباحث أمن الدولة بصورة أدهشت كافة المراقبين والمحليين، بعد أن استخدم الأمن المصري أعنف وسائل القمع من اعتقالات موحشة في جوف الليل، تعذيب شنيع يسلب العقل وعيه والجسد حسه، تبييم للأبناء، ترميل للنساء، قذف قنابل أمريكية مسيلة للدموع ومهلكة للعيون، الضرب المبرح بالعصي الكهربائية، استهداف أعين المتظاهرين بطلقات مطاطية فقدت معها آلاف الأعين، خراطيم للمياه فتحت على المصلين أثناء تأدیتهم للصلوات، دهس للمتظاهرين بالسيارات، ليبلغ الأمر ذروته باستخدام الرصاص الحي في بعض مناطق التظاهرات الأخيرة يسقط على أثرها مئات القتلى - والذين نحتسبهم عند الله أن يكونوا من الشهداء- من شباب مصر، قدرتهم الجهات الصحية بأكثـر من ثلاثة قتـيل في يوم واحد فقط وهو اليوم المعـروف إعلامياً بـ"جمعة الغضـب" والمـوافق 28/يناير/2011م، هذا فضـلاً عن آلاف المصـابـين الكـثيرـ منهم في حالـات خـطـرة.

ويفر رجال القمع من ساحتهم بأمر رؤسائهم، وقبل الفرار يفتحون السجون ليهرب الباطجية، ويروعوا الشعب المصري، وللمفارقة ولانقلاب السحر على الساحر ينقض الباطجية على مبانـيـ الشرطة بما فيها أفرع أجهـزةـ أمنـ الدولةـ -كرـمزـ من رمـوزـ القـمعـ والإـرـهـابـ والـتـرـوـيـعـ- فـيـسـرـقـونـ الأـسـلـحـةـ وـالـأـثـاثـ وـيـخـرـبـونـ المـبـانـيـ وـمـنـ ثـمـ يـحرـقـونـهاـ، وـلـيـبـقـيـ لـلـشـعـبـ المـصـرـيـ أنـ يـتـفـحـصـ وـثـائـقـ أـمـنـ الـدـوـلـةـ السـرـيـةـ الـمـعـرـهـةـ فـيـ الـطـرـقـاتـ حـيـثـ مـخـطـطـاتـ وـأـدـ المـتـدـبـرـينـ وـالـمـتـظـاهـرـينـ، وـكـشـفـ عـمـلـاءـ أـمـنـ الـدـوـلـةـ الـمـنـدـسـيـنـ فـيـ أـوـسـاطـ الـمـتـدـبـرـينـ بـاـخـتـلـافـ مـشـارـبـهـمـ، وـحـجـمـ الـمـكـافـاتـ الـتـيـ كـانـواـ يـحـصـلـونـ عـلـيـهـاـ نـظـيرـ وـشـايـاتـهـمـ، وـلـيـتـأـمـلـ الـمـجـتمـعـ آـيـةـ خـرـابـ أـبـنـيـةـ أـمـنـ الـدـوـلـةـ الـتـيـ كـانـتـ قـمـعـيـةـ وـقـدـ صـارـتـ خـرـبـةـ خـاـوـيـةـ عـلـىـ عـرـوـشـهـاـ لـيـجـعـلـهـاـ لـيـجـعـلـهـاـ اللـهـ أـيـةـ لـمـنـ يـعـتـبـرـ، وـقـدـ صـدـمـتـ بـعـضـ أـطـيـافـ الـمـجـتمـعـ الـمـصـرـيـ الـمـغـيـبـ بـغـرـفـ التـعـذـيبـ الـمـهـيـبـةـ فـيـ باـطـنـ أـرـضـ أـجـهـزةـ أـمـنـ الـدـوـلـةـ، لـيـصـلـ الـأـمـرـ كـمـاـ فـيـ "الـيـوـتـيـوبـ" إـلـىـ العـثـورـ عـلـىـ قـبـرـ أـسـفـلـ أـحـدـ أـبـنـيـةـ أـمـنـ الـدـوـلـةـ بـهـ هـيـاـكـلـ عـظـيـمـةـ، لـأـنـاسـ مـاتـواـ لـاـ يـعـرـفـهـمـ الـبـشـرـ، وـلـاـ نـدـرـيـ كـيـفـ مـاتـواـ وـبـأـيـ ذـنـبـ قـتـلـواـ، وـلـكـنـ اللـهـ - سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ - يـمـهـلـ وـلـاـ يـهـمـلـ، وـإـنـاـ لـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ.

في خضم هذه الأحداث يحمل المرء لهم أكثر وأكثر ويتتساءل بعمق ما هي تداعيات "ثورة 25/ يناير" على المتدینين في مصر باختلاف مشاربهم ومنطلقاتهم الفكرية؟

سؤال تبسطه الأكثريه من المتدینين بأنهم غاية في التفاؤل مما هو قادم، فانقشاع الظلم من أعظم المكاسب، والتفاؤل بذلك يطغى عند البعض على أية محاذير أو تفكيرات مستقبلية معقدة. لا يختلف على مكسب انقشاع الظلم، والاستشارة ببزوج فجر جديد من الحرية والعدل، لكن واقع مصر، وواقع المتدینين فيها، وموقع مصر الجغرافي والاستراتيجي، والأحداث والتحركات العالمية المتربصة بالعالم الإسلامي وبمصر، والتركيبة المموجة لبعض الأجنحة التي علا صوتها في أواسط شباب المظاهرين، ومحاولتها لبرلة وعلمنة مستقبل الخطاب والمشهد السياسي والاجتماعي في مصر، كل ذلك يثقل من المهمة المستقبلية للمتدینين داخل المجتمع المصري.

وعلى ذلك دعونا الآن نناقش تداعيات ثورة 25/ يناير على المتدینين في مصر بمكتسباتها وتحدياتها.

أولاً: مكتسبات ثورة 25/ يناير للمتدینين:

1- انقشاع غمة فزاعة وترهيب أمن الدولة:

كم عانى المتدینون في مصر من جهاز أمن الدولة، والجميع يعلم حجم الاعتقالات، والأبراء خلف الأسوار، والتعذيب الشنيع المدمر والمعاملات المرة داخل السجون والمعتقلات. وانقشاع هذه الغمة وهذا البلاء، من شأنه أن يكسر حاجز الخوف عند كثير بل غالبية المتدینين في مصر، فيتنفسون أولاً الصعداء، وينذهب الخوف والروع من نفوسهم، فيتحرك المرء في المجتمع بهويته الدينية دون خوف من توقيف أو اعتقال مفاجئ، ويبتئن المرء آمن في سربه لا يتوقع أن يزوره زوار الفجر ويكسرون باب بيته، دون إذن أو مراعاة للحرمات وكثير من البلاء المحزن الذي نسأل الله ألا يعود ثانية إلى مصر.

ولنقيس على ذلك فزاعة الخوف في كافة التحركات والسكنات في كافة مرافق مصر وشوارعها، حتى في المساجد، بل وغرف الإنعاش يكفي أن بعض الشباب المتدین حاولوا الذهاب إلى المستشفيات ليذكروا المرضى أصحاب الحالات الحرجة بالله ويعاونوهم على التوبة ورد المظالم، فكان مصير هؤلاء الشباب المتدین هو الاعتقال لسنوات، والقصص الأليمة كثيرة، والله الأمر من قبل ومن بعد.

من هنا كان انقشاع هذه الغمة وضياع مهابة الزبانية عقاب من الله للظالمين والمتكبرين.

وفي ذات الوقت فهي نعمة في حد ذاتها يمنها الله على المصريين وأحسب أنها اختبار إن نجحنا وتجاوزناه بمراد الله فيه دامت النعمة، وإن فشلنا أسائل الله ألا نؤخذ بفشلنا ويكون القادر مؤلم.

2- افتتاح ميدان الدعوة بصورة أوسع:

حال الدعوة في مصر ولله الحمد كان أفضل بكثير من دول عربية أخرى، يعاني الدعاة والمتدینين فيها أشد المعاناة، لكن المجتمع المصري الآن على الأقل في المرحلة الراهنة أصبح أكثر افتتاحاً، وعمق الاتصالات الدعوية المتمثلة في الفزاعة الأمنية، القامعة للدين تعتبر في أضعف حالاتها حالياً، ومن ثم فالرهبة السابقة عند المواطن العادي من اقترابه أو اقتراب أحد أفراد أسرته من حلقة الدين أصبحت لا مبرر لها.

والأهمية في هذه الجزئية أن هذه الرهبة الأمنية كانت تحول بين المواطن العادي، والاحتراك المباشر بالخطاب الدعوي وتطبيقاته العملية في حياة المسلم. كما أن الدور الكبير الذي لعبه كثير من المتدینين بما فيهم الدعاة والعلماء بمعظم مشاربهم في تغذية ثورة الشباب أو مباركتها، يجعل المجتمع المصري أكثر شوقاً لسماع الخطاب الديني بمزيد من الاهتمام، ويكون شغفاً للتعرف على واقع الدين مع السياسة، وتنظيم الإسلام لشئون العباد والبلاد.

هذا فضلاً عن سماح المرحلة القادمة لانتشار مظاهر الدين بحرية أكثر نسبياً، وعليه فمن المتوقع أن يكون هناك - بإذن الله - إقبال المجتمع المصري بصورة أكثر على مظاهر الدين وممارسة الشعائر التعبدية وحضور الدروس العلمية بمزيد

من الحرية. كما نتوقع -بإذن الله- أن تندم الرهبة من التعاطي مع خطاب الدين في كافة المنابر الدعوية، وحلقات الدرس والبحث في المساجد والمدارس والجامعات والمراكمز البحثية، وكذلك الخطاب الإعلامي في الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية، وكل هذا بدوره سيصب -بإذن الله- في خدمة الدعوة الإسلامية، وانتشارها في المجتمع المصري، ومن ثم ارتفاع مؤشر الدين داخل المجتمع بصورة أعلى مما كانت عليه قبل ذلك.

3- انتفاء الفساد والنهضة الاقتصادية المأمولة:

من أهم مكتسبات ثورة شباب 25 يناير" محاربة الفساد المالي والاقتصادي في المجتمع المصري، ومن ثم وجود بصيص أمل لعدالة توزيع الثروة، والاستثمار الاقتصادي والزراعي الآمن في المجتمع المصري والخارجي من كافة المعيقات السابقة؛ كالرشاوي، والمصادر، والسطو على المشروعات الناجحة، وطرد الكفاءات لصالح التفاهات والشهوات، وكل ذلك من شأنه صناعة مناخ عملى تقنى ومهنى مأمول منه -بإذن الله- أن يرتفع معه المستوى الاقتصادي للشعب المصري، وحدوث نوع من الاستقرار النفسي والمالي للمجتمع. وبهذا يهدأ بالمواطن المصري عن التفكير في الأزمات المالية اليومية، وسيكون المتدين -بإذن الله- أكثر استقراراً في ظل هذا المناخ المهني العادل المنشود فيبعد المتدين وينتج ويتطور، ونحسب أن يهذب له تدينه هذا التطور فيصب في مصلحة الإسلام وقوة المسلمين وعزتهم. وكل ذلك من شأنه توفير بيئة خصبة للاهتمام بعقيدة المرء وآخريته، وشريعته وقوته أمتة، ومن ثم اقترابه أكثر من الله.

لكن يخشى مع هذه النهضة المالية والاقتصادية المأمولة أن تصاحب بضعف أو تقدير في المناخ الدعوي أو التديني، فيكون بلاء الغني أشد وأهلك من بلاء الفقر.

4- الاهتمام بالبحث العلمي:

كثيرة هي الكفاءات العلمية والمهنية في أوساط المتدينين والذين قد يكونوا أبعدوا عن الساحة العلمية والمهنية بسبب تدينهم، وتوافر العدالة في المجتمع المصري والمصاحب بالاهتمام بالبحث العلمي، من شأنه استثارة طاقات وإبداعات الشباب المصري، الأمر الذي يتوقع معه قلة عمليات تقل معه سرقة العقول الوطنية المفكرة وهروبها للخارج. وبالتالي حدوث نهضة علمية للدولة، نهضة نأمل أن تكون مصحوبة برؤية متدينة ومناخ دعوي يحاول ربط العلماء بالله، وربط البحوث والنتائج العلمية والعملية بآيات الله، وكل ذلك من شأنه حدوث علمية ملفتة لمصر، وإذا نهضت مصر علمياً وفق توجيهه تديني يضبط مسار تلك النهضة فسيكون حال الأمة الإسلامية بإذن الله أفضل بكثير.

ثانياً: التحديات التي عظمتها ثورة 25 يناير للمتدينين:

1- اتحاد صف المتدينين:

تعد نقطة اتحاد المتدينين من أهم النقاط التي ستواجه المتدينين في مصر في المرحلة المقبلة ومن أعظم التحديات التي فرضتها ثورة شباب 25 يناير.

ومن ثم فالمرحلة الجديدة التي ستمر بها مصر تستلزم معالجة كثير من الخلافات بين المتدينين داخل المجتمع المصري؛ لأن فقه هذه المرحلة -فضلاً عن كل مرحلة- يستلزم وحدة الصف المتدين. فالمرحلة القادمة تحدياتها كثيرة على المستويين الداخلي والخارجي، وسيكون من المضعف جداً انتشار الخلافات في أوساط المتدينين، ولذا أقترح أن تشكل لجنة شرعية من كبار علماء مصر الشرعيين تحاول تقريب وجهات النظر بين قادة الدين في مصر، مع تفزييم الخلافات بأقصى قدر ممكن، حتى يكون خطاب المتدينين وقادتهم في المجتمع ذو فاعلية تكليفية مثمرة، توجه سفينة البلاد نحو الوجهة الربانية التي ترضي رب العباد.

2- تطوير ذات المتدين لمزيد من الاندماج الدعوي في المجتمع:

المرحلة التالية في مصر ستشهد -بإذن الله- ميداناً دعوياً مفتوحاً، وهذه المرحلة تستدعي تطوير ذات المتدين من أجل

التمكن من الدعوة واكتساب مزيد من آليات الدعوة في أواسط من الشعب المصري وبخاصة الشباب غير المتدربين. فقد كانت المرحلة الماضية تحول دون التحرك الدعوي المريخ في أواسط هذه الفئات، ويمكن في هذا الصدد فتح قنوات دعوية شرعية متعددة، تتواجد في كافة قطاعات الدولة و مجالاتها التعليمية، الإعلامية، الخيرية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، البحوثية، والثقافية. وذلك بالتنسيق والتعاون بين المتدربين وكافة مؤسسات الدولة.

أعلم أن الخيال الحالي للبعض قد يكون مجدًا ببرودة المرحلة السابقة ولا يتخيل مثل هذه التحولات، لكنه الواقع فعليًا فالجميع في الثورة طالب بهذا الانفتاح وقد تحقق كثير منه فعليًا، فلماذا لا يكون المتدربين المصري في مقدمة هذا الانفتاح، وقد ظلم وحرم منه عقوداً كثيرة؟.

3- التحديات الدولية في ظل صراع الغرب مع الإسلام:

الدارس والمستقرأ للمخطوطات الدولية التي تهدف محاربة الإسلام بصفة عامة، والمتدربين بصفة خاصة، يجعل الحذر يبلغ مداه من آليات تفكير الغرب مع حالة المتدربين في مصر بعد ثورة "شباب 25 يناير"، فالمرحلة القادمة ستكون مفتوحة وكافة الاحتمالات فيها واردة، وبالتالي لا بد أن يصاحب ذلك مزيد من اليقظة من قبل المتدربين في مصر ومحاولة استقراء ما سيقدم عليه أعداء الإسلام، واستراتيجياتهم الجديدة في ظل التحولات بالمنطقة، ومن ثم الاستعداد للتحولات الغربية مع تحسين المجتمع المصري ومتدربيه من مكر الأعداء، وحيلهم العدائية، وتعبيتهم عقداً لكافية الخيارات المحتملة.

4- ورقة النصاري في مصر:

بلا شك فإن انهيار المرحلة السابقة بهذه الصورة أحدث ارتباكاً وضعفاً شديداً وواضحاً في أوراق عصبة داخل الكنيسة المصرية كثيراً ما أحدثت توترات عنيفة في المجتمع المصري في السنوات الأخيرة، وتحامت على طول الخط بالضغوطات الأمريكية، وبالقبضة الأمنية تحت ذريعة أكذوبة الفتنة الطائفية. والتعامل مع هذه الورقة يحتاج لكثير من الحذر والانتباه، لكن بأي حال من الأحوال فإن من سيريد إعلان إسلامه الآن من نصارى مصر من الذين يخونون إسلامهم أو يرغبون في الدخول في الإسلام لن يجد بعد الآن تلك المخاطر والتهديدات التي كانت تواجهه بها الكنيسة من قبل، فظهور الحرية أكبر من طموحات رعاة الكنيسة المصرية.

ومن هنا فإن دور العلماء والمتدربين في احتضان هؤلاء المهددين وتوفير الحماية لهم، يتعاظم كثيراً، ويعاظم معه كذلك تمهيد الطريق الدعوي لمزيد من المهددين ليتنفسوا عبر الإسلام وينعموا بلذة عبادة الواحد الغفار.

5- ورقة الشيعة:

المرحلة السابقة كانت تميز بأنها ذات خصومة سياسية واضحة مع الكيان الفارسي، انعكست هذه الخصومة السياسية على البعد العقدي في المسألة الإيرانية ومن ثم المسألة الشيعية برمتها، فحافظت مصر من ظهور أية خلايا شيعية داخل المجتمع المصري، ومن ثم كانت مصر في آمان نسبي من هذه الناحية، وعلى الرغم من أن الجيش وأجهزته الاستخباراتية، لم يهتموا بسقوط القائد الأعلى للنظام وبعض أركانه الفاسدة الأمر الذي يبشر باستمرار نفس السياسة الحازمة مع محاولات التغلغل الفارسية والشيعية في المجتمع المصري؛ فإن التوترات التي تشهدها مصر حالياً، ستتسنم لبعض المرتزقة بالتبشير الداخلي للفكر الشيعي الأمر الذي سيعظم معه دور المتدربين في مصر لتعقب بؤر هؤلاء المرتزقة، ومنع محاولات إنبات مثل هذا الفكر الضال في المجتمع المصري السني الحصين.

6- ورقة العلمانيين والليبراليين والاكليين على موائد الغرب من شاركوا في الثورة:

كما أشرنا من قبل فإن ثورة "شباب 25 يناير" كانت مسرحاً لكافة الأجنحة والمشارب والتوجهات، وقد لعب العلمانيون والليبراليون والاكليين على موائد الغرب دوراً تصعيدياً بارزاً في هذه الثورة، ومنطقى أن يحاول هؤلاء جني ثمار الثورة، وقد بدأت مطالبهم الحقيقة بالدعوة للمدنية المطلقة، عدم قيام الأحزاب على أساس دينية، وتعديل المادة الثانية من الدستور

المصري المعطل حالياً - وفقاً لطبيعة المرحلة العسكرية الراهنة وأحكامها العرفية-، والتي تنص: على أن الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية مصدر رئيسي من مصادر التشريع. من هنا وفي ضوء هذا التحدي المتوقع تصعيده وعلو صوته مستقبلاً فإن المتدينين سيكونون على موعد مع معركة فكرية من نوع خاص مع هؤلاء التغريبيين. مع ضرورة التشديد في هذا الصدد إلى أن بعض أصحاب التوجهات الليبرالية والعلمانية قد خسروا كثيراً بانطواء المرحلة السابقة، لكن يبقى أن التحذير والتحدي هو من يرون في أنفسهم أنهم كانوا سبباً في إقصاء المرحلة السابقة.

7- تحدي الدور السياسي الجديد للمتدينين:

المرحلة الجديدة التي ستقبل عليها مصر يتوقع لها الكثيرون أن تكون ذات زخم سياسي غير عادي، ولما كان المتدينون في مصر أصحاب ثقل بشرى ومهنى، ومكانة اجتماعية نافذة مصحوبة بتوقير وتقدير شعبي، تعاظم التوقير لدى فئات كثيرة من الشعب بعد ثورة شباب 25/ يناير، حيث لعب كثير من الدعاة وعلماء الأزهر والمتدينين باختلاف مشاربهم، دوراً بارزاً في تأييد ثورة شباب 25/ يناير.

فإن هذا الثقل وتلك المكانة المجتمعية ستتجدد نفسها مضطربة ومدفوعة شعبياً للدخول إلى الحلبة السياسية، سواء من خلال الأحزاب أو البرلمان، أو تكوين ثقل انتخابي يؤثر في الاستفتاءات على الدستور، أو على مسار رئيس الدولة الجديد. وبالتالي فإن انسحاب بعض المتدينين خاصة من أيدوا الثورة من المشهد السياسي قد يكون محل نظر، وهنا نعود إلى النقطة الأولى والخاصة بأهمية اتحاد المتدينين، وبحث كافة الإشكالات الشرعية المتعلقة بالمارسات السياسية ومن ثم الوصول إلى أقرب النقاط التوافقية والتي بها يتم الاستثمار الأمثل لنقل المتدينين في مصر بما يحقق مراد الله - سبحانه وتعالى على أرض مصر.

وفي الختام:

أود التأكيد على أن قضية الدور المستقبلي للمتدينين في مصر في ظل تداعيات ثورة "25/ شباب يناير" بحاجة إلى جهود علماء الأمة الثقات، لرسم معالمه. كما أنها بحاجة إلى العديد من الدراسات البحثية الشرعية، العلمية، السياسية، الدولية، الاجتماعية، الاقتصادية، والإعلامية لتكوين رؤية واضحة المعالم يستنير بها المتدينون في المرحلة المقبلة التي نسأل الله أن تتحقق فيها العبودية لله على أرض مصر في كافة القطاعات، ولدى الحاكم والمحكوم.

المصادر: